ترجعان إلى معنى واحد ، وإن اختلف أصلاهما ، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والاظهار له »[1] .

ونحن لن نستقصي هنا ما قاله العلماء في تعريف البلاغة ، فسيمر بنا ذلك مفصلاً فيما بعد ، ولكننا نشير منذ الآن إلى أن البلغاء الذين أُخذت البلاغة من كلامهم، وعُرفت في أساليبهم قبل أن تعرف في حدود المؤلفين وتعريفات المصنّفين ، كانوا ينظرون إلى البلاغة على أنها هي الوسيلة إلى الاعراب عما في النفس بصورة تمنع من سوء التعبير وسوء الفهم وتصل بالمعنى إلى القلب . ولا شك أن ذلك يعني أنهم جعلوها في منزلة مساوية لمنزلة اللغة ، إن لم تكن هي نفسها منزلتها ، لأنه إذا كانت اللغة هي وسيلة التفاهم بين الناس فإن كل ما يؤدي إلى هذه الغاية أو يعين على بلوغها فهو جزء من اللغة متمم لها وقيمته من قيمتها ، وكذلك كانت البلاغة عند أصحابها من البلغاء المطبوعين .

لقد كان البليغ المطبوع يعرف للبلاغة أو للفصاحة شروطاً يحس بها فيراعيها في كلامه ، وكان العربي المطبوع يسمع الكلام البليغ أو الفصيح فيميزه وينفعل له، وقد يطلق عليه حكماً من الأحكام ...

---

(١) كتاب الصناعتين : ٧ .